حوار الثقافات وضرورته في العصر الحديث

بقلم د. محمد حسن شعبان
عضو هيئة التدريب
برامج الإدارة الهندسية والمشروعات
معهد الإدارة العامة

يفرض مصطلح حوار الثقافات نفسه على إنسان هذا العصر أكثر من أي وقت مضى، فهناك العديد من المؤتمرات والندوات تم تكريسها مؤخراً لمناقشة هذا الموضوع نتيجة إدراك سكان هذا الكوكب، مدى الحاجة إلى الحوار والتفاهم لحلّ الكثير من القضايا العالقة، بعد أن جربوا فيما مضى أساليب أخرى، كالمجابهة والحروب، دون جدوى. ويعود هذا المصطلح ليحِلَّ بديلاً عن مصطلح آخر، معاكس له هو(صراع أو صدام الحضارات) الذي انتشر بقوة في نهاية عقد الثمانينات، وذلك بالتوافق والتوازي مع مصطلح (نهاية التاريخ) الذي بشّر بنهاية جميع الثقافات، عدا الثقافة الغربية أو الليبرالية الأمريكية .

وإن كان مصطلحي (نهاية التاريخ) و (صراع الحضارات) لم يجلبا للإنسانية سوى الحروب، والدمار، فأنه مؤتمر (حوار الأديان) الذي عُقد في الأمم المتحدة أواخر السنة الماضية وبمبادرة من خادم الحرمين الشريفين (حفظه الله) يبشر بتجسيد عملي هام لحوار السلام والبناء بين أمم الأرض، والتركيز على الأشياء المشتركة، وترك نقاط الاختلاف جانباً.

إن الانتقال إلى مرحلة حضارية جديدة يلزمه المزيد من التوافق والتعاون المبني على الحوار بين جميع الثقافات، وليس على مبدأ التصادم والإلغاء .كما أن طبيعة المشاكل التي يواجهها العالم المعاصر اليوم الاقتصادية منها- كالأزمة المالية والاقتصادية الراهنة، أو البيئية- كمشكلة المناخ والتسخين الحراري للأرض لا يمكن لدولة واحدة، أو لثقافة واحدة أن تواجهها بمفردها، أو أن تضع الحل السحري لها. من هنا تأتي أهمية (حوار الثقافات) ليكون هو الوسيلة البديلة لحل المشاكل العالمية الطابع. فالحوار بمثابة طريق باتجاهين، يسمح للجميع بالمرور، والعيش دونما حصول تصادم، أو مواجهة.

فمن حق كل شعب أو أمة أن تفخر بثقافتها، فالثقافة هي روح الأمة، وهي التي تحدد شخصيتها وهويتها، ولكن من الضروري بمكان أن تتكامل هذه الثقافة مع ثقافة الآخر، لنبذ كل ما هو ضار بالآخرين، والآخر أيضاً بحاجة إلى مراجعة دائمة لثقافته، وليس من حقه فرضها علينا، وهذا لا يتأتى إلا بالحوار المبني على احترام الآخر.